تعليمية البلاغة العربية وطرائق تدريسها

أ. صديقي أمال إشراف د. بوزيدي محمد
جامعة معسكر

الملخص:

البلاغة العربية هي المرآة العاكسة لمستوى الإبداع الذي وصلت إليه العبقرية العربية منذ العصور الأولى ؛فهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال،وهي متعددة المنابع وتلتقي اليوم بالعلوم اللغوية ،والفنون الأدبية في ضوء الدراسات المعاصرة في مجال اللسانيات و السيميائيات والتداوليات وغيرها،وأصبحت لها إمبراطورية واسعة وامتدادات شاسعة.

وتهدف هذه الدراسة لإبراز واقع تعليمية البلاغة العربية ومكانتها في العملية التعليمية و أثرها في تنمية لغة دارسيها ،والتطرق لطرائق تدريسها.

الكلمات المفتاحية: تعليمية،البلاغة العربية،التدريس .

Abstract

Arabic rhetoric is the reflective mirror of the level of creativity that Arab genius has reached since the early times. Its essence depends on matching the right speech to the appropriate situation. Arabic rhetoric has also a various sources and today it intersects with linguistic sciences and literary arts in the light of contemporary studies in the field of linguistics, semiotics, pragmatics …. It has now a vast and stretched empire.

The aim of this study is to highlight the reality of teaching Arabic rhetoric and its place in the educational process and its effect on the development of the language of its learners, and to discuss the methods of its teaching.

Keywords: Didactics- Arabic rhetoric –Teaching.

مقدمة:

تعتبر البلاغة العربية المرآة العاكسة لمستوى الإبداع الذي وصلت إليه العبقرية العربية منذ العصور الأولى ،فهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال،وهي متعددة المنابع ،كما أنها فرع من فروع اللغة التي تحتل الصدارة في الدراسات الأدبية على جميع المستويات التعليمية لأنها سبيل للولوج في كنه الآثار الأدبية وإجراءات عملية لفحص النص ووسيلة للتعبير الأدبي والإبداع الفني .

وتجمع كتب البلاغة القديمة منها والحديثة على أن وظائف تعلم وتعليم هذه المادة تتمثل في تهذيب الذوق وتنميته،وتقويم الملكات الكلامية إلا أنها مازالت محفوظة في طيات الماضي،فهل عملنا على تطوير المفاهيم القديمة والمصطلحات لنجعلها ملائمة لتطورات العصر؟هل انتهجت الطرائق الفعالة لتحقيق هذه الغايات؟

1-مفاهيم أولية:

1-1-مفهوم التعليمية La Didactique:

تنحدر كلمة تعليمية (ديداكتيك) من حيث الاشتقاق اللغوي من أصل يوناني Didactikos أو Didasmien وتعني حسب قاموس روبير الصغير Le petit robert، "درّس أو علّم enseiguer ويقصد بها اصطلاحا كل ما يهدف إلى التثقيف، وإلى التثقيف، وإلى ماله علاقة بالتعليم.

ولقد عرف محمد الدريج التعليمية (Didactique) في كتابه "تحليل العملية التعليمية" كما يلي: هي الدراسة العلمية لطرق التدريس وتقنياته، وأشكال تنظيم مواقف التعليم التي يخضع لها المتعلم قصد بلوغ الأهداف المنشودة، سواء المستوى العقلي المعرفي أو الانفعالي الوجداني أو الحسي الحركي المهاري.

كما تعرف التعليمية (Didactique) أيضاعلى أنها مادة تربوية موضوعها التركيب بين عناصر الوضعيات أو المشكلات المقرحة على التلاميذ قصد تيسير تعلمهم .

و اعتبرها لالاند Laland فرعا من فروع البيداغوجيا موضوعه التدريس. [1] ويعرفها لوجندر Legender على أنها علم إنساني موضوعه إعداد وتجريب وتقويم وتصحيح الاستراتيجيات البيداغوجية التي تتيح بلوغ الأهداف العامة والنوعية للأنظمة التربوية.[2]

ورغم ما يكشف تعريف التعليمية من صعوبات، فإن معظم الدارسين المهتمين بهذا الحقل لجأوا إلى التمييز في التعليمية (Didactique) بين نوعين أساسيين يتكاملان فيما بينهما بشكل كبير هما:

التعليمية العامة (الديداكتيك العامة): يهتم بكل ما هو مشترك وعام في تدريس جميع المواد، أي القواعد والأسس العامة التي يتعين مراعاتها من غير أخذ خصوصيات هذه المادة أو تلك بعين الاعتبار كتعليمية اللغة العربية .[3]

التعليمية الخاصة (الديداكتيك الخاص)- (ديداكتيك المادة): وتعني كل ما يخص تدريس مادة من مواد التكوين أو الدراسة من حيث الطرائق والوسائل والأساليب الخاصة بها؛ تعليمية النحو، وتعليمية العروض وتعليمية البلاغة.

1-2-مفهوم الدرس البلاغي في التراث العربي:

عمل البلاغيّون العرب على ضبط مصطلحات وأسس ومفاهيم حدود الدرس البلاغي وظهر ذلك من خلال تعريفاتهم للبلاغة و الفصاحة، فالبلاغة اسم معنى من بلغ، ومعناه لغة الوصول والانتهاء.

وتشير العبارة شيء بالغ، وأمر بالغ، وتعنى كذلك التبليغ والتوصيل؛ أي القدرة على نقل معنى يعتمر في النفس إلى خارجها وتبليغه إلى آخر. وقد جاء في لسان ابن منظور: "بلغ الشيء... وصل وانتهى... وتبلغ بالشيء: وصل إلى مراده... والبلاغة: الكفاية [4]"،ويقول أيضا: "البلاغة الفصاحة... ورجل بليغ، وبلغ بالضمة، بلاغة أي صار بليغا"[5]

فالفصاحة: تدل على البيان،و فَصُحَ الرجل فصاحة، فهو فصيح من قوم فصحاء وفصاح وفصح... وامرأة فصيحة من فصاح وفصائح- نقول: رجل فصيح وكلام فصيح؛ أي بليغ، ولسان فصيح أي طليق، وأفصح الرجل القول... وفصح الرجل، وتفصح إذا كان عربي اللسان فازداد فصاحة... وتفاصح: تكلف الفصاحة... و التفصح استعمال الفصاحة...فالفصيح (من الحيوان) كل ناطق، والأعجم كل ما لا ينطق... والفصيح في كلام العامة العرب " [6] كما تطلق على اليوم، فيقال: "يوم مفصح؛ أي لا غيم فيه ولا برد". [7]

وفي هذا الصدد يعرفها ايضا أبو هلال العسكري في قوله: "أما الفصاحة فقد قال قوم إنها من قولهم: أفصح فلان عما في نفسه إذا أظهر، والشاهد على أنها هي الإظهار قول العرب: أفصح الصبح إذا أضاء، وأفصح اللبن إذا انجلت عنه الرّغوة فظهر وفصح أيضا، وأفصح الأعجمي إذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبين، وفصح اللّحان إذا عبّر عما في نفسه وأظهره على جهة الصواب دون خطأ وهي تمام آلة البيان.

2-أهداف تدريس البلاغة:

عملت دراسات كثيرة في تعليمية المواد على الكشف عن مطابقة الطرائق والإجراءات التعليمية مع خصوصيات كل مادة، وأهم ما تسعى إليه البلاغة الحديثة تنمية ملكة التواصل لدى المتعلم، وتمكينه من الأدوات البلاغية، وإكسابه حسن التصرف اللغوي في المواقف المختلفة عند إنتاجه الخطاب المناسب.

بيد أننا وعمليا نفتقر إلى تعليمية تطبيقية حديثة في كل مستويات التعليم، ولا تزال كتب تعليم البلاغة والبرامج الدراسية تجتر الأهداف نفسها.

لقد تنبه الأقدمون إلى الهدف البلاغي وحدوده بإدراك ما هو جيد أو رديء من الكلام، والاقتدار على صنع الجيد من الكلام. ومع وضوح هذا الهدف الذي يتلوّن بلون الدّرس شعر أو نثر، فإنه يرتبط بالنص الأدبي ارتباطا وثيقا، لذلك تدرج اليوم أهداف تدريس البلاغة مع أهداف تدريس الأدب في المستويات التعليمية إذ تتجسد في اقتدار المتعلم على:

- إدراك ما في الأدب من صور ومعان وأخيلة تمثل صورة من صور الطبيعية الجميلة، أو عاطفة من العواطف البشرية، أو تعرض ظاهرة من الظواهر الاجتماعية أو السياسية أو الطبيعة.
- التمتع بما في الأدب من جمال اللغة، والإيقاع، والسجع والقافية.
- بعث السرور النفسي والراحة والاطمئنان في نفس القارئ.
- التأثر بما في الأدب من أفكار وأساليب جميلة تظهر في التعبير الشفوي أو الكتابي للقارئ أو المستمع.
- زيادة الذخيرة اللغوية التي تساعد على زيادة فهم المقروء والقدرة على استعمالها.
- السّمو بالذوق الجمالي الأدبي.[8]

وقد نجد في المؤلفات التعليمية والبرامج المدرسية على أهداف أخرى منها:

- تمثل القارئ للحركة النفسية في العمل الأدبي.
- إدراك الوحدة العضوية في العمل الأدبي.
- إدراك الترابط بين أجزاء القالب الأدبي.
- التعبير عن فكرة الأديب وأحاسيسه.
- تحديد المحسنات البديعية وعلاقتها بالمعنى.[9]

وهناك من الباحثين من يدرج أهداف تدريس البلاغة مع دراسة النصوص الأدبية والنقد مبينين فيما يلي:

- الإلمام ببعض الأسس العامة التي يمكن بمقتضاها معرفة المستوى الفني للإنتاج الأدبي.
- تربية الإحساس بقيمة اللفظ وأهميته في تأديته للمعنى المناسب.
- ترقية الأحاسيس والوجدان بالوقوف على ما في الأساليب من روائع الكلم.
- الإحساس بقيمة التعبير الأدبي وأثره في النفس.
- الاستمتاع بما في الكلام من جمال لأن البلاغة هي الينابيع التي يعرف منها جمال الكلام.
- حمل المتعلم على أن ينظر إلى النص الأدبي نظرة شاملة متكاملة؛ فلا يقف عند اللفظ أو الجملة بل يتجاوز هذا إلى القصيدة ككل، وإلى الصورة والقصة والمقالة... فلا يقف الإنسان منها عند الكون أو الشكل ولكنه يأسره منظر الصورة في تكاملها، كذلك البلاغة لا يقصد منها إعطاء أحكام جزئية على النص، وإن كان هذا الأمر ضروريا، ولكن الهدف أن يحس الإنسان بالتكامل في النص الأدبي والانفعال به.

وباعتبار البلاغة عنصر أساسي في الدراسات الأدبية خصت بمجموعة من الأهداف منها:

- تذوق الأدب وفهمه فهما دقيقا، لا يقف عند تصور المعنى العام للنص الأدبي، بل يتجاوزه إلى معرفة الخصائص والمزايا الفنية للنص.[10]
- تبيين نواحي الجمال الفني في الأدب، وكشف أسرار هذا الجمال، ومصدر تأثيره في النفس.
- فهم ما يدل عليه النص من ضروب المهارة الفنية للأديب، وما يصوره من نفسيته ولون عاطفته.

- إيضاح الذوق الأدبي في الطلاب وتمكينهم من تحصيل المتعة والإعجاب والسرور بما يقرؤون من الآثار الرائعة وتمكينهم –كذلك– من إنشاء الكلام الجيد محاكة لهذه الأنماط البلاغية التي يستجيدونها.
- اقدارهم على إجادة المفاضلة بين الأدباء وعلى تقويم إنتاجهم الأدبي تقويما فنيا سديدا.[11]
- تحول بين الإنسان وبين الخطأ في الأسلوب أو الخيال أو المعنى أو الغرض أو الفكرة، وبدراسة العلوم البلاغية يستطيع الأديب أن يكون ناقدا متذوقا وكاتبا موهوبا إلى ما سوى ذلك من المزايا التي تنشأ عن دراسة علوم البلاغة.[12]

3–طرائق تدريس البلاغة:

إن البلاغة تعمل على إكساب طالب الذوق وتحديد الأسباب، وتمييز الأسرار، والابتعاد عن البلاغة يؤدي إلى فقدان الطبع الأدبي، وهذا بدوره يؤدي إلى حرمان المتعلم من جني ثمار البلاغة وأهمها الارتقاء بملكات الطلبة النقدية والتذوقية والعجز عن صنع كلام بليغ.

لقد ثار جدلا طويل حول تدريس البلاغة، فاتهمها فريق من الأدباء بالعجز والقصور لأنها اخفق في الوصول بالمتعلمين إلى الغاية المقصودة من دراستها، ودافع فريق آخر عنها وأرجعه إلى كيفية عرضها على الطلبة وإلى طرائق تدريسها. [13]

لتدريس البلاغة طريقتان هما:

أ) تدريس البلاغة بالطريقة التي نهضت على طوابع تمزيق وحدة البلاغة وقسمتها على علوم ثلاثة (المعاني– البيان– البديع) ودراسة المعاني تسبق دراسة البيان والبديع، فقد تتعارض هذه الطريقة مع القاعدة التربوية التي تقضي بالانتقال في التعليم من السهل إلى الصعب، والمعاني أصعب العلوم البلاغية، ثم أن تدريسها يكون بمعزل عن الأدب واتخاذ الأمثلة من الجمل مقتضبة مبثورة والعبارات المصنوعة والاهتمام الزائد بالبحوث النظرية والضوابط والتقاسيم و التعاريف.

ب) تدريس البلاغة بالطريقة التي ترى أن البلاغة وحدة متكاملة وتشكل في مجموعها أبحاثا في مقومات الجمال الأدبي مما يجعلها جزء من الدراسة الأدبية التي يؤديها النص والتحقق من المصطلحات البلاغية ومعالجة الموضوعات معالجة نفسية وجدانية.[14]

أما عبد العليم إبراهيم في كتابه الموجه الفني أوضح أن من الخطأ أن تدرس البلاغة على الصور الآتية:

– عرض درس البلاغة على الصبورة في جداول؛ إذ يتجه المدرس في شرحه للمادة اتجاهات نظرية مختصرة يذكر فيها القاعدة ويحدد الأنواع ويسوق المصطلحات.

– الالتجاء إلى المثال أو الأمثلة المصنوعة مقتضبة للوصول في سرعة إلى التسوية الاصطلاحية وتحديد اللون البلاغي.

– إهمال الربط بين الوحدات البلاغية أو بين عناصر كل وحدة.

– إن البلاغة في الواقع تدرس مثلما تدرس القواعد النحوية بطريقتين معروفتين هما: القياسية والاستقرائية .[15]

3–1–القياسية:

تعتمد على ذكر القاعدة البلاغية مباشرة ومن ثم توضيحها بالأمثلة، لتأتي التدريبات عليها فيما بعد، وتتلخص خطواتها فيما يأتي:

أ) التمهيد: تهيأ فيها الطلبة للدرس الجديد، وذلك بالتطرق إلى الدرس السابق.

ب)عرض القاعدة: تكتب كاملة ومحددة وبخط واضح، ويوجه انتباه الطلبة نحوها، بحيث يشعر الطالب أن هنالك مشكلة تتحدى تفكيره ويجب أن يبحث عن الحل.

ج)تفصيل القاعدة: بعد شعور الطلبة بالمشكلة يطلب المعلم منهم الإتيان بأمثلة تنطبق عليها القاعدة، ويعمد على تثبيت القاعدة ورسوخها في أذهان الطلبة وعقلهم.

د) تطبيق: بعد معرفة الطلبة بصحة القاعدة وجدواها نتيجة الأمثلة التفصيلية حولها يتمكنون من التطبيق على هذه القاعدة.

3-2-الاستقرائية:

الاستقراء هو الأسلوب الذي يسلكه العقل في تتبع مسار المعرفة ومدارجها ليصل به إلى المعرفة في صورتها الكلية بعد تتبع أجزائها، وعليه فهدف هذه الطريقة هو الكشف عن القواعد والحقائق واستخدام الاستقصاء في تتبعها والوصول إليها. [16]

وتتلخص خطوات الطريقة الاستقرائية بما يأتي:

أ)التمهيد: يهيأ المعلم طلابه لتقبل المادة الجديدة وذلك عن طريق القصة أو الحوار أو بسط الفكرة، ولهذا التمهيد وظائف من أهمها: جلب انتباه الطلبة إلى الدرس الجديد، وإزالة ما علق بأذهانهم من أمور قد تشغلهم عن الدرس الجديد.

ب)العرض: يتحدد فيه الموضوع؛ بحيث يقدم المعلم عرضا سريعا عن الهدف الذي يريد وصول الطلبة إليه.

ج-الربط و الموازنة: تربط في هذه الخطوة الأمثلة مع بعضها وتعني الموازنة بين ما تعلمه الطالب اليوم وما تعلمه بالأمس، والهدف منها هو أن تتداعى المعلومات وتتسلسل في ذهن الطالب بحيث يصبح مهيأ للانتقال إلى الخطوة التالية وهي الحسم واستنتاج القاعدة.

د)استنتاج القاعدة: يستنتج الطالب بالتعاون مع المعلم ومما عرض عليه في الدرس قاعدة هي وليدة فهم القسم الأعظم من الطلاب للدرس.

ه) التطبيق: تكون هذه الخطوة فحص لصحة القاعدة ومدى رسوخها في أذهان الطلبة، فإذا فهموا الموضوع جيدا استطاعوا أن يطبقوا عليه تطبيقا جيدا. [17]

خاتمة:

وخلاصة القول، يتضح لنا من خلال هذا البحث سعي المناهج التربوية والتعليمية على الارتقاء بالدرس البلاغي لقيمته اللغوية في تكوين شخصية الطالب الأدبية ، وأيضا تنمية قدراته الإبداعية ، وهذا لا يكون إلا من خلال اعتماد وتبني طرئق تدريسية فعالة ،وهذا ما يسمح بوضع اقتراحات إجرائية للبلاغة التعليمية:

_ دمج الممارسة النقدية بالقضايا البلاغية،وفتح المجال لكشفها بواسطة تفعيل عامل التذوق وتشجيعه لدى المتعلم.

_الاعتبار بالذوق الذي يعد المؤشر الحقيقي والفاصل في نقد النصوص وتنميته عند المتعلم _عدم اقتصار المنظومة التعليمية على النصوص التراثية القديمة وتدريس الفنون البلاغية في إطارها .

_التطبيق على الأدب الحديث والمعاصر.

_وضع الدرس البلاغي لمقاربة النصوص وإنتاجها وارتباطها بفصاحة الكلام وتقويمه في التراث العربي .

إكساب المتعلم مهارة القراءة والفهم والتأويل واستقراء ما يقصد من وراء الاداءات اللغوية وغير اللغوية باستخدام الفنون البلاغية المساعدة على كشف الظواهر الأسلوبية وهذا هدف التعليمية.

و أخيرا ليس من السهل التسليم بهذا الواقع و لكن غيرتنا على لغة القرآن تلزمنا على التعامل معه بطريقة علمية جدية مستعينين بجميع الأساليب الحديثة ،ثم نؤكد أن محاولة التغيير للنهوض بهذه اللغة واجب كل فرد يعتز بالانتساب إليها .

هوامش البحث:

1. عبد اللطيف الفاربي واخرون ،1994،ص69.
2. المرجع نفسه ص68.
3. المرجع نفسه ص69.
4 . ابن منظور ،لسان العرب،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،2005،ج6،ص126.
5. المرجع نفسه ،ج6،ص131.
6. المرجع نفسه،ج4،ص158.
7. المرجع نفسه،ج4،ص160.
8. علي أحمد مدكور،تدريس فنون اللغة العربية ،ص202.
9. حسن شحاته ،تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق،ص196.
10. محمد صلاح مجاور،تدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية،ص483.
11. عبد الحليم إبراهيم ،الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية ،ط5،القاهرة ،دار المعارف،1981،ص304.
12. محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف ،نحو بلاغة جديدة،ص33.
13. سعد عبد الكريم عباس الوائلي،طرائق تدريس الأدب والبلاغة والتعبير بين النظرية والتطبيق ،دار الشروق،ط1'2004،ص48.
14. المرجع نفسه ،ص48.
15. المرجع نفسه،ص49.
16 . وليد أحمد جابر ، تدريس اللغة العربية ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،عمان ،سنة 2002 ،ص 156.
17. المرجع نفسهً،ص 171.

قائمة المصادر والمراجع

1-ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005.
2-حسن شحاته، تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق،ط3،القاهرة،الدار المصرية اللبنانية،1996.
3- سعد عبد الكريم عباس الوائلي، طرائق تدريس الأدب والبلاغة والتعبير بين النظرية والتطبيق، دار الشروق، ط.1، 2004.
4-عبد اللطيف الفاربي وآخرون، 1994.
5-عبد الحليم إبراهيم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ط.5، القاهرة، دار المعارف، 1981.
6-علي أحمد مدكور، تدريس فنون اللغة العربية، القاهرة، دار الفكر العربي، .1997
7-محمد صلاح مجاور، تدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية،القاهرة ،دار الفكر العربي
8-محمد عبد المنعم خفاجي، وعبد العزيز شرف، نحو بلاغة جديدة،مصر،مكتبة غريب،د،ت
9-وليد أحمد جابر ، تدريس اللغة العربية ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،عمان ، 2002